

مطبوعات شرقيةالمسيح - الكنيسة<sup>(١)</sup>

بقلم الاب فردينان تونل اليسوعي

— — — — — كتابان ضخمان وضما باللغة الافرنجية وهما موسوعتان للمعارف الدينية المسيحية . هل من افادة بتعريفها الى المتقين من الناطقين بالضاد ؟  
 لقد انتفضى عهد الانتداب الافرنجي في سورية ولبنان اما اللغة والثقافة الافرنجية تراث الجنس البشري فمهدها لا ينتفضي واصولها واشجة في الشرق منذ مئة وخمسين سنة وينيف منذ حملة بونابارت الى الشرق وهي بازدهار متواصل تبدو مظاهره اليوم في العدد الوافر من اللبنانيين والسوريين والمصريين الذين يقرأون الافرنجية ويتكلمون بها فيقدم الاطلاع على الكتب التي تنشرها .  
 وقد نسمع رجالات المعارف في البلاد العربية يدعون الطلاب في المدارس الحكومية والخاصة الى استقاء الثقافة الابورية من اقرب مواردها في اللغة الافرنجية خاصة فيتخذونها آلة لا بد منها لمواصلة الدروس الثانوية والعالية وبها تفتتح لهم الافاق على بلاد الغرب .

وهناك الناحية الدينية من الثقافة البشرية العامة ومحور الكلام فيها على الانجيل والكنيسة وهي جديدة بان تسهوي اجتهاد كل مفكر رصين .  
 منذ حقبات مضت دعا الدكتور طه حسين علماء الازهر الى قراءة الانجيل والى الاطلاع على الدين المسيحي في اصدق موارده لتلايجهلوا ما يؤمنونه ويبيتوا مطمئنين وراء سورهم المنيع من الاعتقادات والآراء وبينهم وبين الحقيقة مراحل وفنادق فأنار في العقول مسائل لم تكن تخاطر على بال الكثيرين في الماضي وقد

(1) LE CHRIST. Encyclopédie Populaire des connaissances religieuses. — —

Publiée sous la direction de M. l'Abbé G. Bardy et de M. l'Abbé A. Tricot, Professeur à l'Institut Catholique de Paris... Petit in 8° 1264 pp., Bloud et Gay 1947.

ECCLESIA. Encyclopédie Populaire des connaissances religieuses.  
 Publiée sous la direction du Chanoine René Aigrain. Bloud et Gay 1948.  
 Petit in 8° 1525 pp.

ساعد على هيجانها تقارب المواصلات واحتكاك رجال الثقافة وشبابها الشرقيين بالعالم الغربي اذف الى ذلك تأثير المدينة المسيحية المستخدمة الدعاية اليها مبتكرات الفنون الجميلة في دور الاذاعة وفي الافلام السينائية الصالحة ما ياجب الجماعات الى التفكير والنحص والمقابلة وقد يدور محور هذه الحركة الفكرية على قضية جوهرية مركزية وهي المسيح والكنيسة التي اسما .

والينا في الكتابين اللذان نضعهما للقراء الكلام على المسيح وعلى الكنيسة وقد رصنا خاصة لاهل الغرب من مؤمنين وغير مؤمنين لكتبها مفيدان جداً للقراء في الشرق فالمسيحيون منهم يجدون فيها الاجوبة على سائر ما يحتاجون اليه للتدقيق في معارفهم الدينية والمسلمون منهم يقبلون منها شملات تستلفت انظارهم الى التروي والبحث والانصاف فلا يتسرعون باثامنا بالكفر والزندقة .

١ - من هو المسيح ؟

قد يعد البعض في معرفته الى المواقفات الاوربية التي تصوره بصورة ضئيلة خيالية فيطشون لما يشاهدون مشوهاً فيها بقلم هارناك Harnack ولوزاي Luisy ورينان Renan وهي اقرب في نظرهم الى ما عرفوه مصوراً عن المسيح في المؤلفات الاسلامية من الصورة التي رسمها الكتبة المسيحيون الحقيقيون بهذا الاسم . فن ثم ندعهم الى قراءة هذا الكتاب وفيه المقالات الموقعة باسما .

الاعتد عليهم في المسيحية المخلصة للايمان والدين والعلم الصحيح .

من هو المسيح ؟ اهو انسان لا غير ؟ فان كان انساناً لا غير فبها قيل فيه عن عظه وسمو واخلاق وتعاليم كان مذهباً فلسفياً لا صلة بينه وبين الحقيقة المطلقة التي لا يشوبها ضلال في زمان ومكان . وان كان المسيح ابن الله فثبت لنا ثبوت اليقين ان دين المسيحيين هو الدين الموحى به من الله ؛ وما النرض من هذا الكتاب الا تبيان تلك الحقيقة فيقول قارئه مع القديس بطرس : انا اؤمن يا يسوع انك المسيح ابن الله .

والبحث متواصل موسم بمعرفة حياة المسيح الحفية والعامية وفي آلامه وقيامته وبالتدقيق في تعاليمه عن الملكوت وعن سبل الحياة المسيحية وعن طرق الكمال الانجيلي وعن « العهد الجديد » الذي جاء به يسوع الناصري مفسراً ومكشفاً « العهد القديم » .

وهذا الإله الإنسان تبرز صورته نيرةً وقصاحةً جذابةً خلابةً في مظاهر  
 وشعائر إيمان الذراري المسيحية من عيد الشهداء، والدياميس الى ايام قسطنطين  
 وهيلانة الى عهد البنات الفضة في ديورة فلسطين وسورية الشمالية على ايام  
 سمان العامودي ومار مارون ويوحنا ثم انذهب الى زمان الكنائس الباقية اثارها  
 في حوران والكاتدرائيات الفضة كأجيا صوفية في اسطنبول والمؤسسات الخالدة  
 بالحياة الرهبانية في صعيد مصر وفي باقي ما بقي من عز المسيحية بعد الفتح  
 الاسلامي في بلادنا الشرقية . وهناك في البلاد الغربية مظاهر الفن المسيحي  
 الذي لم تتورط طرق ارتقائه الاضطهادات فأثاره عامرة يزورها في باديس ورومة  
 ولندن وبرلين ومونسكو اعيان المثقفين من رجالات العرب والاسلام وهناك  
 مؤلفات المسيحيين في ناحية الحياة الروحية الكاملة وان ما جاء به المتصرفون  
 الكبار كآبن العربي والغزالي وغيرهم لم يكن الا تصدياً لصوت الكمال المسيحي  
 المدوي في الحاققين . ومنها تتصاعد اناشيد المحبة الصيبة لهذا المسيح الاله  
 الانسان وهو الالف والياء في سفر الكون - ما هذه الاغاني الجاوية التي  
 تطرحها على موجات الاثير محطات الاذاعات العالمية الحاملة الى العالم سنفونيات  
 بتوفن وباخ وغونزو ؟ أليست الا نعمة النفس المسيحية المخطوفة بحجة الاله  
 الانسان التراقة الى جذب العالم الى الذي قال : اما انا فان ارتفعت على الصليب  
 فأجذب اليّ الجميع ا الجميع ا من رجال العلم والتاريخ والهندسة والتصوير  
 والنحت وسائر الفنون .

فاقرأ هذا الكتاب كنت من تكون يا من تفقه اللغة الافرنسية واحب  
 مطالعتها في مصنفاتها وكن مخلصاً لقوادك وضميرك . اقرأ يا من يرتاب في امر  
 مصيره ومخير العالم قترى الشك يتكسر على صخرة اليقين والظلام يتبدد في  
 عالم النور وان تكن موجة الشيوعية الوثنية تسهم المؤمنين بالله وباليوم الاخير  
 فدونها . عصة شخصية المسيح الاله الانسان الداعي الى التقيّد بالشرائع الخالدة  
 القائلة بان الرضوخ والعبادة لله عز وجل انما هي رضوخ وعبادة ابنا . المللكوت .  
 وكفانا بهذه العجالة داعياً الى اقتناء هذا الكتاب فيوضع في المكاتب  
 العامة فخرّاً لها ويقع تحت تصرف الاساتذة في المدارس الحقيقة باسمها مورداً  
 للطلاب ولكل عقل سليم يلتس وجه الله .

ما هي الكنيسة ؟

وهل تتفرغ ايها القارئ اللبيب الى بحثها ؟ لربما توسمت في اجتهادك بدروس العلم العليا من ادب وهندسة وطب وتاريخ وفن ولعل افكارك المتفرقة في تلك الانحاء المتناثية في ميدان المعارف البشرية تاهت عن التفكير في الغاية القصوى والحقائق العظمى الراجع اليها اهم ما يجب ان يهتم به المفكرون . ما اكثر رجال الاختصاص وما اوفر عدد المتقنين وما اقل الذين يبحثون عن الدين المسيحي في اساساته ويتعمقون في بحث الكنيسة واصولها لقد استفرغ جهودهم التوغل في مرافق دروسهم الخاصة واغفلهم عن معرفة مقاهمها في بيان العرفان البشري العام . فيجهلون ما يتوجب معرفته من امور اللاهوت والليتورجيات والتاريخ الكنائسي . وهذا الكتاب يقضي حوائجهم الى ذلك ويشفي غليلهم من تكملة ثقافتهم فيفقهون فيه اصول الفلسفة المتفرع منها فنل الايمان وينقدون به مقدرات العقل البشري في معرفة الحياة ويبحثون فيه ما وراء الطبيعة من المبادئ في علم الوجود وعلم النفس وفي شروط البلوغ في ذلك الى اليقين . فما هي النفس وما هو الله واية هي البراهين على وجوده ضحاً للملحدين ؟ وهل للوحي معنى يرضى به العقل ؟ وهل في الدين المسيحي الجواب على كل هذه الاسئلة الخطيرة ؟ وان الكتاب المقدس وعلم الاخلاق واللاهوت النظري والروحي ( ويسيه الرب بالتصرف ) رسائر شعائر العبادات والرتب الكنائسية تدعو الماقلين الى البحث والتفكير فيترشدون بهذا الكتاب في اجابهم وتفكيرهم . اصف الى ذلك ما فيه من حل المشاكل الناشئة عن ترقى علم التاريخ باكتشاف آثار جديدة فتجلي فيها حياة المسيح وسير القديسين وغيرهم من الرجال العظام وان خير دفاع عن المسيحية واسهل طريقة الى استيعاب تعاليمها والتوفيق بينها ، انما هو النظر الشامل سائر ما فيها من المبادئ والشرائع المرتبطة ببعضها بعضاً فترضي العقل السليم وتسد حاجة القلوب الطاهرة .

وقد تؤدي هذه « الموسوعة » المواد الكافية بلوغ المرام .

ان الرابطة الباطنية في فصول هذا الكتاب المحررة باقلام عديدة انما هي شخصية المسيح ورسائله وتعاليمه واعماله .

يبدأ الكلام فيه بدرس حالة العالم الروماني اليوناني حين ظهور النادي ثم يتناول وصف العالم اليهودي الفلسطيني في البلاد وفي البيئة التي ظهر وعاش فيها باليهودية والجليل وشرقي الاردن والسامرة . وعلى هذه المسارح يُظهر المؤلفون رجال التاريخ هيرودوس وبيلاطس واليهود من فريسيين وصدوقيين وكهنة الهيكل والاحبار وهم في انتظارهم قدوم المسيح الموعود به منذ الفردوس المفقود . وفي الكتاب التعليقات المأخوذة من المعاصرين كيو سيفرس وغيره ممن كتبوا في هذه الناحية . وان معالجة الاناجيل ككتب تاريخية تستدعي البحث فتسبع لاقوال مدارس الاسكندرية وانطاكية وتعاليم الآباء . في الشرق والغرب والى تقاسير المعاهد الكولاميتكية المعاصرة لازدهار الفلاسفة العرب في الاندلس وتعرف من ثم الى مؤلفات عهد النهضة في القرن السادس والسابع والثامن عشر والى حركة الدروس التي نشأت منذ نشوء المذهب البروتستنتي الى القرن الثامن والتاسع عشر الى ايامنا .

واذا تفرغ القارئ من خاصة المثقفين الى النظر في ذلك وجد فيه ضالته المنشودة ففرح به وارتاح اليه . اما العامة من قراء الافرنسية فيجدون فيه غذاء للروح ومتممة للفؤاد . وهو قريب المثال اليهم بما في هذا الكتاب كما في الكتاب السابق من الفهارس الحافلة باسما . الاعلام والامكنة والمواد . عسى ان يحل هذا المؤلف محلّه في خزائن اخواننا المسلمين الذين يفقهون اللغة الافرنسية فيقرأونه ويتحققون بصدق مقالنا . اما المسيحيون فلهم فيه عنوان الفخر ومدعاة الى النشاط والعمل في سبيل مبادئهم الشريفة .